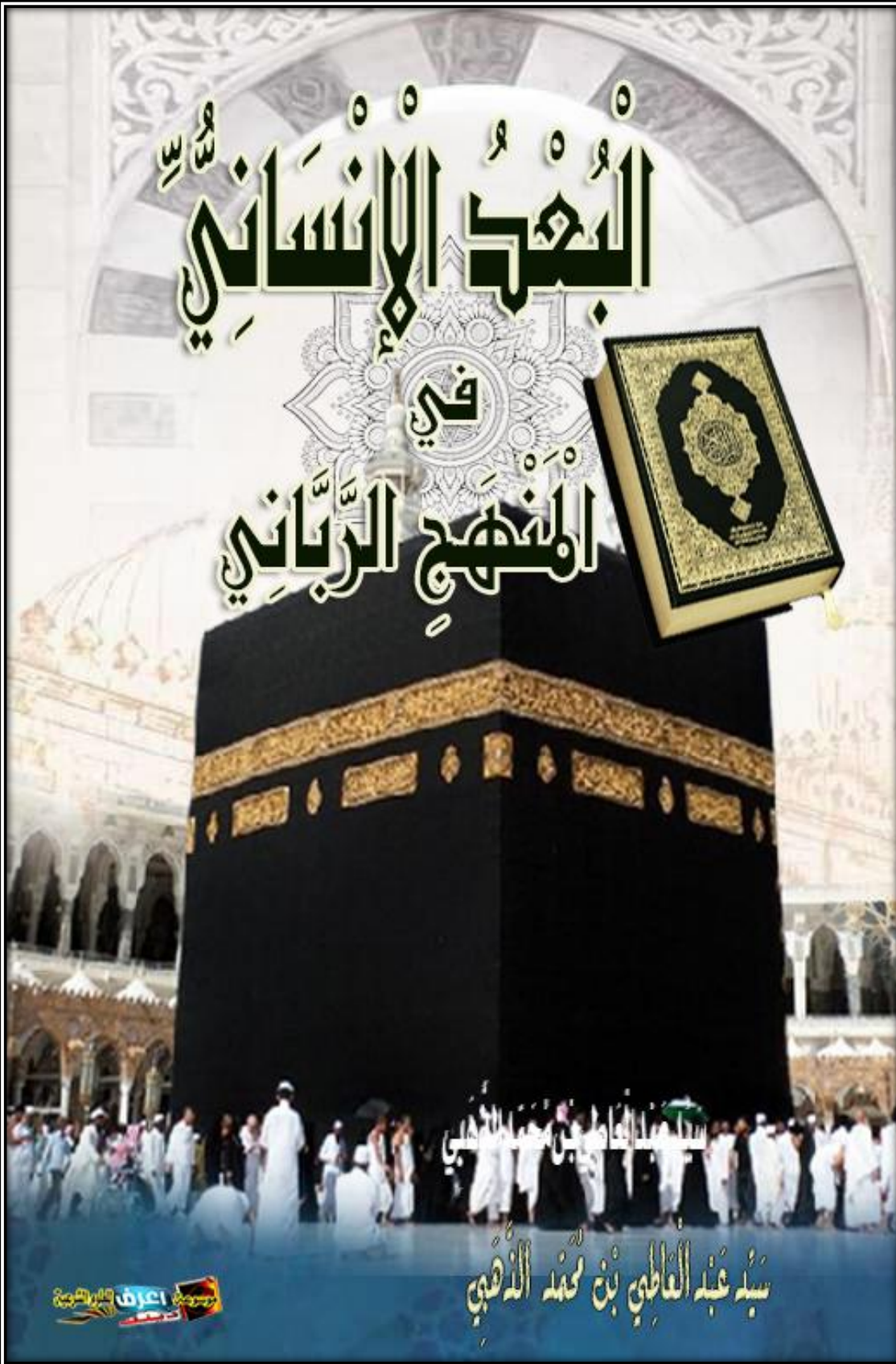


الحُبُّ الْإِنْسَانِي

فِي

الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ



سَيِّدُ عَبْدِ الْقَادِرِ جِيلَانِي

سَيِّدُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّهْجِيِّ





الْحَمْدُ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا ذِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، وَأُصَلِّيَّ وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ أَهْتَدَى.

أَمَّا بَعْدُ:

• فاعلم يا طالب العلم -رحمني الله وإياك- أنَّ البُعدَ الإنسانيَّ ثَمَرَةُ المنهجِ الربانيِّ، فَقَدْ فَقَدَتِ الْبَشَرِيَّةُ فِي ظِلِّ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُعْظَمَ الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ، فَقَدْ سَجَدُوا لِلْحَجَرِ، وَشَرِبُوا الْخَمْرَ، وَأَكَلُوا الرِّبَا، وَانْتَشَرَتْ بَيْنَهُمُ الْفَاحِشَةُ، وَوَأْدُوا الْبَنَاتِ، وَأَسَاوُوا الْجَوَارِ، وَأَكَلَ الْقَوِيُّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى خَاتَمَ رُسُلِهِ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَأَحْيَا مَوَاتِ الْقُلُوبِ وَمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ فِي النُّفُوسِ، وَأَجْرَحَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَفِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ الْمُخْتَصَرَةِ الَّتِي عَنَوْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ (البُعدُ الإنسانيُّ في المنهجِ الربانيِّ) بَيَانٌ لِأَهَمِّيَّةِ الْبُعدِ الْإِنْسَانِيِّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:



### • أَوَّلًا: الْبُعدُ الْإِنْسَانِيُّ فِي الْقُرْآنِ:

- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابُ هِدَايَةٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الْم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}. (البقرة: ١-٢)، وَالْمُتَدَبِّرُ لَا يَأْتِيهِ يُبْصِرُ الْحَقِيقَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ عَقِيدَةٍ وَشَرِيعَةٍ وَأَخْلَاقٍ وَمَوَاعِظَ، فَهُوَ ذُو نَزْعَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ فِي كُلِّ مِنْ مَوْضُوعِهِ وَأَسْئَلُوهِ، فَمِنْ حَيْثُ الْمَوْضُوعِ نَجِدُ أَنَّ النَّزْعَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي كُلِّ مَوْضُوعٍ عَلَى حِدَةٍ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:



### (١) العقيدة والنزعة الإنسانية:

- أوضح الله سبحانه وتعالى وحدانيته وملكيته وتدبيره لكونه دون تمييز بين بقعة وبقعة من كونه، ودون أن يخص بخطابه فئة من الخلق دون أخرى، فقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. (الفاتحة: ٢)، فهو سبحانه رب العالمين،

وَالْعَالَمُونَ تشمل جميع المخلوقات، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. (البقرة: ٢١)، فنداء التوحيد للناس جميعاً دون تمييز بين فئة وأخرى، وقال الله تعالى: {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمُوتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. (الجاثية: ٣٦). أي: له الحمد على ربهيته لسائر الخلق حيث خلقهم ورباهم وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وأوضح سبحانه أنه أرسل خاتم رسله محمداً - صلى الله عليه وسلم - للناس كافة في بقاع الأرض وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها فقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}. (الأعراف: ١٥٨). أي: قل - أيها الرسول - للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهما، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفئائه وبغنه، فصدقوا بالله وأقروا بوحدانيته، وصدقوا برسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - النبي الأمي الذي يؤمن بالله وما أنزل إليه من ربه وما أنزل على النبيين من قبله، واتبعوا هذا الرسول، والتزموا العمل بما أمركم به من طاعة الله، رجاء أن توفقوا إلى الطريق المستقيم، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}. (الأنبياء: ١٠٧)، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}. (الفرقان: ١)، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}. (سبا: ٢٨). وقرر سبحانه عبودية الإنسان لله عز وجل من كافة الأجناس، فقال تعالى

: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}. (مريم: ٩٣-٩٥)، وقال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}. (الأنعام: ١٨).



### (٢) البعد الإنساني في التشريع:

- التشريع في القرآن ينبثق عن أسس ومبادئ إنسانية مطلقة،



فَالْمَدَبَرُ لِسُورَةِ النَّسَاءِ مَثَلًا وَهِيَ مِنَ السُّورِ الَّتِي تَفِيضُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرِيعِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأُسْرَةِ وَحُقُوقِ الْمَرْأَةِ، وَنِظَامِ الْحُكْمِ، وَتَقْوِيمِ الْعَدَالَةِ وَضَبْطِ حَقِيقَتِهَا، يَجِدُ أَنَّهَا بَدَأَتْ بِوَضْعِ الرِّكَيزَةِ الْأَسَاسِيَّةِ لِنَلْكَ الْأَحْكَامِ كُلِّهَا، وَأَنَّ مُنْطَلَقَهَا إِنَّمَا هُوَ النَّظَرُ إِلَى مَصْلَحَةِ الْأُسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ ذَوْنَ النَّظَرِ إِلَى الظُّرُوفِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَالْمُخْتَلِفَةِ لِلْبَيِّنَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ وَهَذِهِ هِيَ الرِّكَيزَةُ الْأَسَاسِيَّةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَدْرِ سُورَةِ النَّسَاءِ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء: ١). فَاَلْمُنْطَلَقُ لِتَقْرِيرِ الْأَحْكَامِ وَالتَّشْرِيعَاتِ إِنَّمَا هُوَ الرَّحْمُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْعَامَّةُ، ثُمَّ تَمُضِي السُّورَةُ فِي تَقْرِيرِ سِلْسِلَةِ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَحْكَامِ النِّكَاحِ وَمَقَوِّمَاتِ الْأُسْرَةِ، وَنِظَامِ الْحُكْمِ وَالْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمِيزَانِهَا،

وَجَمِيعُ هَذِهِ التَّشْرِيعَاتِ مُنْطَلَقُهَا الْبُعْدُ الْإِنْسَانِي الْعَامُ فَلَا عِرْقِيَّةَ وَلَا طَائِفِيَّةَ وَعَلَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ أَنْ تَتَدَبَّرَ هَذِهِ الْآيَاتِ: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۚ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} (النساء: ١٠٥-١١٣).



• فَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- قَالَ: {إِنَّ نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ غَزَوْا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَسَرَقَتْ دِرْعٌ لِأَحَدِهِمْ فَاطْنُ بِهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَى صَاحِبَ الدَّرْعِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ إِنَّ طُعْمَةَ بَنِي أُبَيْرِقٍ سَرَقَ دِرْعِي فَلَمَّا رَأَى السَّارِقُ ذَلِكَ عَمِدَ إِلَيْهَا فَأَلْقَاهَا فِي بَيْتِ رَجُلٍ بَرِيءٍ وَقَالَ لِنَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ إِنِّي غَيَّبْتُ الدَّرْعَ وَأَلْقَيْتُهَا فِي بَيْتِ فُلَانٍ وَسَتُوجَدُ عِنْدَهُ فَانْطَلَقُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَلَّا فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ صَاحِبَنَا بَرِيءٌ وَإِنَّ صَاحِبَ الدَّرْعِ فُلَانٌ وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِذَلِكَ عِلْمًا فَأَعْذُرْ صَاحِبَنَا عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ وَجَادِلْ عَنْهُ





فَإِنَّهُ إِنْ لَا يَعْصِمُهُ اللَّهُ بِكَ يَهْلِكُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَرَّأَهُ وَعَذَرَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ } ... الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ لِلَّذِينَ اتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْتَحْفِينَ بِالْكَذِبِ { يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ } .. الْآيَتَيْنِ يَعْنِي الَّذِينَ اتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْتَحْفِينَ يُجَادِلُونَ عَنِ الْخَائِنِينَ ثُمَّ قَالَ { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ } ... الْآيَةَ يَعْنِي الَّذِينَ اتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْتَحْفِينَ بِالْكَذِبِ ثُمَّ قَالَ { وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } يَعْنِي السَّارِقَ وَالَّذِينَ جَادَلُوا عَنِ السَّارِقِ. (وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: سِيَاقٌ غَرِيبٌ يَرْمِزُ إِلَى ضَعْفِ السَّنَدِ).

- وَفِي رِوَايَةٍ: { قَالَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ: وَكَانَ بَنُو أُبَيْرِقٍ أَهْلُ فَاقَةٍ؛ فَابْتَعَ عَمِّي رَفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ حِمْلًا مِنْ دَرْمَكِ الشَّامِ؛ فَجَعَلَهُ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ، وَفِي الْمَشْرُبَةِ دِرْعَانٌ لَهُ وَسَيْفَانِ، فَعُدِي عَلَى الْمَشْرُبَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَقَبَّتْ وَأَخَذَ الطَّعَامَ وَالسِّلَاحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَانِي عَمِّي رَفَاعَةُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي؛ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ عُدِي عَلَيْنَا فِي لَيْلِنَا هَذِهِ؛ فَتَقَبَّتْ مَشْرُبَتُنَا؛ وَذَهَبَ بِطَعَامِنَا وَسِلَاحِنَا؛ فَقَالَ: فَتَحَسَّنْنَا فِي الدَّارِ وَسَلَّأْنَا، فَقِيلَ لَنَا: قَدْ رَأَيْنَا بَنِي أُبَيْرِقٍ اسْتَوْقَدُوا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَلَا نَرَاهُ إِلَّا عَلَى بَعْضِ طَعَامِكُمْ؛ قَالَ: وَقَدْ كَانَ بَنُو أُبَيْرِقٍ قَالُوا - وَنَحْنُ نَسْأَلُ -: وَاللَّهِ مَا نَرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا لَيْدَ بْنَ سَهْلٍ - رَجُلٌ مِمَّا لَهُ صَلَاحٌ وَإِسْلَامٌ - فَسَمِعَ ذَلِكَ لَيْدٌ؛ فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ؛ ثُمَّ أَتَى بَنِي أُبَيْرِقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لِيُخَالِطَنَّكُمْ هَذَا السَّيْفُ؛ أَوْ لَتُبَيِّنَنَّ هَذِهِ السَّرِقَةُ؛ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِصَاحِبِنَا؛ فَسَأَلْنَا فِي الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشْكُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا؛ فَقَالَ لِي عَمِّي: يَا ابْنَ أَخِي؛ لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرْتَهُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ؛ فَأَتَيْتُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: { أَنْظِرْ فِي ذَلِكَ }؛ فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُو أُبَيْرِقٍ اتَّوَا رَجُلًا مِنْهُمْ؛ يُقَالُ لَهُ (أَسِيرُ بْنُ عُرْوَةَ)؛ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ؛ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنَ أَهْلِ الدَّارِ؛ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَعَمَّهُ عَمَدًا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا؛ أَهْلُ إِسْلَامٍ وَصَلَاحٍ؛ يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ عَنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ؛ قَالَ قَتَادَةُ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَلَّمْتُهُ؛ قَالَ: { عَمَدَتُ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ ذَكَرَ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ وَصَلَاحٌ؛ فَرَمَيْتُهُمْ بِالسَّرِقَةِ عَنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ؟ }؛ قَالَ: فَرَجَعْتُ وَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أَخْرُجَ عَنْ بَعْضِ مَالِي؛ وَلَمْ أَكَلِّمُهُ؛ فَأَتَيْتُ عَمِّي؛ فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فَقَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ؛ فَلَمْ نَلْبِثْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ }؛ الْآيَاتِ؛ { فَالْخَائِنُونَ بَنُو أُبَيْرِقٍ؛ وَالْبَرِيءُ الْمَرْمِيُّ لَيْدُ بْنُ سَهْلٍ؛ وَالطَّائِفَةُ النَّبِيُّ هَمَّتْ أَسِيرٌ وَأَصْحَابُهُ }؛ وَقَالَ عِكْرِمَةُ: { سَرَقَ طُعْمَةُ بْنُ أُبَيْرِقٍ دِرْعًا مِنْ مَشْرُبَةٍ؛ وَرَمَى بِسَرِقَتِهَا رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ (زَيْدُ بْنُ السَّمِينِ) }؛ قَالَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: { وَجُمْلَةُ هَذَا يَسْتَدِيرُ عَلَى أَنَّ قَوْمَ طُعْمَةَ اتَّوَا النَّبِيَّ - صَلَّى



اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَلَّمُوهُ فِي أَنْ يَذُبَّ عَنْ طُعْمَةٍ؛ وَيَرْفَعَ الدَّعْوَى عَنْهُ؛ وَدَفَعُوا هُمْ عَنْهُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَرَقَ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ مَعْصِيَةً مِنْ مُؤْمِنِيهِمْ؛ وَخُلِقَ مَقْصُودٌ مِنْ مُنَافِقِيهِمْ؛ فَعَصَمَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَنَبَّهَ عَلَى مَقَالِهِ لِقِتَادَةِ بْنِ النُّعْمَانِ بِقَوْلِهِ: {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}.

-فَالْآيَاتُ نَزَلَتْ تُوضِّحُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْحَقِيقَةَ وَتَفْضَحُ مَا بَيَّنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَتُبْرِئُ الْيَهُودِيَّ، وَتَكْشِفُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَبِيلَ الْحُكْمِ الْعَادِلِ الْمُتَجَرِّدِ وَفِي ذَلِكَ أَسْمَى مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ.



### (٣) الْأَخْلَاقُ فِي الْقُرْآنِ وَالْبُعْدُ الْإِنْسَانِي:

-الْأَخْلَاقُ وَالْفَضِيلَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُجْمُوعَةُ الْاِغْتِيَارَاتِ وَالْمَنَاجِحِ السُّلُوكِيَّةِ الَّتِي تَتَلَاءَمُ مَعَ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الصَّافِيَةِ مِنْ جَانِبٍ، وَتُحَقِّقُ قَوَاعِدَ السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ.

-فَمِنْ الْمَبَادِي الْخُلُقِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ اِغْتِيَارُ النَّاسِ كُلِّهِمْ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ أَعْرَافُهُمْ وَأَنْسَابُهُمْ وَبَيْنَاتُهُمْ فِي مُسْتَوَى وَاحِدٍ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَا يَتَفَاضَلُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. (الحجرات: ١٣).

-فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ بَنِي آدَمَ، مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَجِنْسٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَيَرْجِعُونَ جَمِيعُهُمْ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً،

وَفَرَّقَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ أَيْ: قَبَائِلَ صِغَارًا وَكِبَارًا، وَذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ يَتَعَارَفُوا، فَإِنَّهُمْ لَوْ اسْتَقَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَفْسِهِ، لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ، التَّعَارُفُ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ التَّنَاصُرُ وَالتَّعَاوُنُ، وَالتَّوَارُثُ، وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِ الْأَقَارِبِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ، لِأَجْلِ أَنْ تَحْصُلَ هَذِهِ الْأُمُورُ وَغَيْرُهَا، مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَى التَّعَارُفِ، وَلُحُوقِ الْأَنْسَابِ، وَلَكِنَّ الْكَرَمَ بِالتَّقْوَى، فَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، أَتْقَاهُمْ، وَهُوَ أَكْثَرُهُمْ طَاعَةً وَانْكِفَافًا عَنِ الْمَعَاصِي، لَا أَكْثَرُهُمْ



قَرَابَةً وَقَوْمًا، وَلَا أَشْرَفُهُمْ نَسَبًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ خَبِيرٌ، يَعْلَمُ مَنْ يَقُومُ مِنْهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، مِمَّنْ يَقُومُ بِذَلِكَ، ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَيَجَازِي كُلًّا، بِمَا يَسْتَحِقُّ.

-وَمِنَ الْمَبَادِي الْخُلُقِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الزَّامُ الْأَبْنَاءِ بِرَّ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَخَفَضُ جَنَاحِ الدُّلِّ وَالتَّوَاضُّعِ وَاللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ لَهُمْ وَعَدَمُ الْعُقُوقِ وَلَوْ بِأَقْلٍ الْكَلِمَاتِ وَهِيَ كَلِمَةُ (أَفْ) وَهُوَ مَبْدَأُ إِنْسَانِي لَا يَنْظُرُ إِلَى طَبِيعَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ عُرْفٍ مُعَيَّنٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)} وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥-١٤)}. (لقمان: ١٤-١٥)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٣-٢٤)}. (الإسراء: ٢٣-٢٤).

-وَمِنَ الْمَبَادِي الْخُلُقِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُؤَاخِذُ إِلَّا بِمَا اكْتَسَبَ، وَأَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ بِعَمَلٍ غَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْهُورًا (١٣)} أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٣-١٥)}. (الإسراء: ١٣-١٥)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۖ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)} (فاطر: ١٨)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩)} وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١-٣٩)}. (التَّجْم: ٣٩-٤١)، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٢٥)} (النَّحْل: ٢٥). أَيْ: وَحَمَلُوا وِزْرَهُمْ وَوَزَرَ مَنْ انْقَادَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهَذَا مِنْ كَسْبِهِمْ. فَقَوْلُهُ: {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٢٥)} أَيْ: دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فَكُلُّ مُسْتَقِلٍّ بِجُزْمِهِ، لِأَنَّهُ عَرَفَ مَا عَرَفُوا {أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٢٥)} أَيْ: بَنَسَ مَا حَمَلُوا مِنَ الْوِزْرِ الْمُثْقِلِ لِطُهُورِهِمْ، مِنْ وِزْرِهِمْ وَوَزَرَ مَنْ أَضَلُّوهُ.



—وَمِنَ الْمَبَادِيِ الْخُلُقِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَدَاءُ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَالْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}. (النساء: ٥٨).



—فَتَأْمَلْ قَوْلَهُ: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}.

اسْتَعْمَلْ كَلِمَةَ {النَّاسِ} لَتَفِيدَ الْبُعْدَ الْإِنْسَانِيَّ وَلَمْ يَخْصْ فَنَّهُ دُونَ أُخْرَى.

• وَمِنْ حَيْثُ الْأُسْلُوبِ نَجِدُ أَنَّ الْبُعْدَ الْإِنْسَانِيَّ رَكَّزَ عَلَيْهِ الْأُسْلُوبُ الْقُرْآنِيُّ، فَنَجِدُ الْخِطَابَ الْقُرْآنِيَّ يَتَّجِهْ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ مُسْتَعْمِلًا كَلِمَةَ: النَّاسِ أَوْ بَنِي آدَمَ أَوْ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. (البقرة: ٢١) .. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ}. (غافر: ٥) .. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَّئِيِّنَ لَكُمْ ۖ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۖ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ}. (الحج: ٥-١) .. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}. (الأعراف: ٣٦) .. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}. (الأعراف: ٣١) .. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۚ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۚ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}. (الحجرات: ١١-١٢).





## •ثانيًا:البُعدُ الإنسانيُّ في السُنَّة النَّبَوِيَّة:

-لَقَدْ حَرَصَتْ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ حِرْصًا شَدِيدًا، فَحَثَّتْ عَلَى حِمَايَةِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِ إِنْسَانًا،

وَحَرَمَتْ الْإِعْتِدَاءَ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ وَعَرْضِهِ.

-أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ (٤٤٠٦) وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (١٦٧٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمٍ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَخْسِيهِ قَالَ- وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلِّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ -فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ: صَدَقَ مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ{.

-كَمَا حَرَصَتْ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى عِصْمَةِ دَمِ الْإِنْسَانِ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُسْلِمٍ، وَهُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْ عُمُومِ النُّصُوصِ الَّتِي رَجَرَتْ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانَةِ عُمُومًا، وَلِمَزِيدٍ مِنَ الْعِنَايَةِ وَرَدَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَعِيدٌ شَدِيدُ اللَّهْجَةِ فِي حَقِّ مَنْ يَتَسَوَّرُ هَذِهِ الْحُرْمَةَ.



-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الدِّيَاتِ-بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ بِرَقْمٍ (٦٥١٦) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا}.

-إِنَّهُ تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ صَارِخٌ وَتَرْهيبٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِمَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا-وَهُوَ الرَّجُلُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ يَدْخُلُ بِإِلَاقَةِ الْمُسْلِمِينَ بِعَهْدِ آمَانٍ-بِغَيْرِ جُرْمٍ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ فَقَالَ: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} (التَّحُل: ٩١)؛ وَلَا جُلْ ذَلِكَ تَوَعَّدَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا، وَهُمْ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَهْدًا، بَأَنَّهُ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، يَعْنِي لَمْ يَشَمَّ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا تَكُونُ عَلَى بُعْدِ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا، يَعْنِي: أَنَّهُ لَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهَا، فَانْظُرْ إِلَى أَخْلَاقِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي سَلَمِهِ تَجِدُ الْكَمَالَ الْبَشَرِيَّ تَجَسَّدَ فِي شَخْصِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

-وَلَقَدْ تَجَلَّتْ إِنْسَانِيَّةُ الرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَعَ أَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ الْمُعَانِدِينَ لِمَنْهَجِهِ وَالْمُحَارِبِينَ لَهُ وَلَا ضَحَايِهِ وَالْيَكُومَ الشَّاهِدَ وَالِدَّلِيلَ:

•أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ-بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأَمْرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ بِرَقْمٍ (٣٣٦٤) مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-، قَالَ: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ : اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا ، وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تَمْتَلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا،وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيُّهُمْ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ،يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهِمُ الْجَزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، فَلَا تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ



أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، فَلَا تُنْزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا { .

-فَفِي وَصَايَا النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَالَ الْحَرْبِ لِقَادَةِ جُيُوشِهِ، وَأَوَامِرِهِ لَهُمْ عِنْدَ عَقْدِ الْأُلُويَةِ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى بُرْهَانٍ؛ إِذْ هُوَ يَقِيمُ الشَّوَاهِدَ عَلَى أَنَّ لِلدِّمَاءِ حُرْمَتَهَا، وَلِلْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ قِيَمَتَهَا. فَلَا يَصِحُّ أَنْ تُشْرَكَ نَهَبًا لِلْاجْتِهَادَاتِ الْمُبْتَنَاةِ عَلَى الْأَرَاءِ وَالظُّنُونِ وَالْتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي لَا يُسْنِدُهَا عِلْمٌ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُبِينٌ.



• وَفِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ جُمْلَةٌ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَحْكَامِ مِنْهَا:

-تَحْرِيمُ الْعَدْرِ فَالْإِسْلَامُ لَا يَعْرِفُ الْخِيَانَةَ وَالْعَدْرَ.

- وَفِيهِ: تَحْرِيمُ الْغُلُولِ وَهُوَ أَخْذُ شَيْءٍ مِنَ الْعَنِيمَةِ بِغَيْرِ إِذْنِ الْإِمَامِ.

- وَفِيهِ: تَحْرِيمُ قَتْلِ الصَّبِيَّانِ إِذَا لَمْ يَقَاتِلُوا.

- وَفِيهِ: كَرَاهَةُ الْمُثَلَّةِ وَهِيَ التَّنْكِيلُ بِالْقَتْلِ بَعْدَ قَتْلِهِ.

- وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ وَصِيَّةِ الْإِمَامِ أَمْرَاءِهِ وَجُيُوشِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالرَّفْقِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَتَعْرِيفِهِمْ مَا يَحْتَاجُونَ فِي غَزْوِهِمْ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ وَمَا يَحِلُّ لَهُمْ وَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ وَمَا يُكْرَهُ وَمَا يُسْتَحَبُّ.

- وَفِيهِ: حُجَّةٌ لِمَنْ يَقُولُ: لَيْسَ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبًا بَلِ الْمُصِيبُ وَاحِدٌ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

- وَفِيهِ: الْأَمْرُ بِالتَّبَشِيرِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ وَجَزِيلِ عَطَائِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ.

- وَفِيهِ: النَّهْيُ عَنِ التَّنْفِيرِ بِذِكْرِ التَّخْوِيفِ وَأَنْوَاعِ الْوَعِيدِ مِنْ غَيْرِ صَمِّهَا إِلَى التَّبَشِيرِ.

- وَفِيهِ: تَأْلِيفُ مَنْ قَرُبَ إِسْلَامُهُ وَتَرُكُ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ.

- وَفِيهِ: أَمْرُ الْوَلَاةِ بِالرَّفْقِ وَاتِّفَاقِ الْمُشَارِكِينَ فِي وَلَايَةِ وَنَحْوِهَا.



• حَقًّا مَا أَجْمَلَ وَأَعَدَلَ وَأَرْحَمَ التَّشْرِيعَ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَا أَكْرَمَ وَأَعْظَمَ هَذَا الرَّسُولَ الْإِنْسَانَ!!

• وَانْظُرْ إِلَى مَا يَحْدُثُ الْيَوْمَ مِنْ إِبَادَةِ جَمَاعِيَةٍ لِأَهْلِنَا فِي غَزَّةَ عَلَى يَدِ الْكَيَانِ الْمُحْتَلِّ الْمُغْتَصِبِ لِلأَرْضِ الْمُنتَهَكِ  
لِلْعَرَضِ،

الْمُنْعَدِمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَقْتُلُ الْمَدَنِيِّينَ مِنْ أَطْفَالٍ وَنِسَاءٍ وَشُيُوخٍ وَيُسَانِدُهُ الْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ الْمُفْتَقِرُ لِمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ، لِتَعْلَمَ  
عَظَمَةَ التَّشْرِيعِ فِي الْإِسْلَامِ، فَالْإِسْلَامُ دِينُ الْفِطْرَةِ الَّذِي جَاءَ بِأَسْمَى مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ.



• فَاللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، فَرِّجْ كَرْبَ أَهْلِنَا فِي فَلَسْطِينَ، وَاجْعَلْ  
بَلَدَنَا مِصْرَ أَمْنًا آمَانًا سَخَاءَ رَحَاءٍ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

• كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أَبُو أَحْمَدَ سَيِّدُ عَبْدِ الْعَاطِي بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّهْيِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

مع تحيات

موسوعة اعراف دينك للعلوم الشرعية

